الباب الرابع

ادب العمل

شرف وظيفة الانسان ـ فضل السعي في الدنيا ـ الخلق مسخرون في اعمالهم وليسوا مخيرين ـ مبدأ الصناعة البشرية ـ حكم الصناعة في الاسلام ـ الحث على اتقان الصنائع ـ امهات الصنائع ـ الفلاحة ـ صناعة البناء وفن العمارة ـ النجارة والحدادة ـ الوراقة حرفة التجارة ـ صناعة النقل ـ الخدم ـ صناعة التعليم ـ الطب ـ الغناء والموسيقى جمع المال من حلال .

خلق الله تعالى هذا العالم الارضى وجعل اعيانه كلها المنتفع بها من المواليد الثلاثة مذللة مسخرة للانسان الذى زانه بالعقل وحلاه بالفكر وسخره بالارادة ليعمر الارض تعميراً يوافق السنن الآلهى المطلوب في تنظيم العالم وتنسيق اشيائه واستخراج مواد معاشه على أكمل وجه ولقد نطق الكتاب العزيز بذلك في كثير من المواضع منه ماهو على سبيل الامتنان للدلالة على شكر الصانع الحكيم ومنه ما هو على سبيل الحث لتجويد الاعمال والقيام بها في اصلاح الارض على أكمل وجه يقتضيه أمر الخلافة قال تعالى في خطاب بني اسرائيل « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف

تعملون » وقال في خطاب المسلمين « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم » وجاء فى تذليل الارض وتسخيرها لبني آدم « ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون » « وسخر لكم ما فى الارض جميعاً » و « ذللناها لكم » وجاء فى تحرى أحسن العمل فى الارض «انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » وقال تعالى في السعى وابتغاء الارزاق بالعمل من فضل الله « فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » « واسعوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » « الله يبسط الرزق لعباده » « وانبتنا فيها من كل الثمرات رزقاً للعباد » وقال في تقسيم الاعمال والمساعى « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » الى غير ذلك من الآيات البينات والحجج القاطعات موردة في معرض الامتنان تارة والحث على السعي في طلب الرزق أخرى سواء بالنظر الى الجماعات أو الافراد على أكمل الوجوه وأتم الخلال المطلوبة مما سماه الله تعالى اصلاحاً حتى تتم بذلك وظيفة الخلافة الآدمية ويتم عمار هذا العالم ويكون

صلاح هذه الدار التي هي مزرعة الآخرة ودار التكاليف في كل الاعمال الحسية من حيث الصنائع والفنون على انواعها والمعنوية من حيث الآداب والشرائع والعلوم مما العمل له كله واجب على المجموع الانساني ولله ما أجل الحكمة المودعة في الاثر الشريف « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » فالدنيا نعمة واستصلاحها واجب والشكر عليها فرض والقيام بحقها بالنظر الى السعي في طلب العيش بأوسط الطرق ضربة لازب قال النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الحث على العمل والسعي على الرزق « ان من الذنوب ذنوبا لايكفرها الا الهم في طلب المعيشة » وأنت اذا تأملت في حقيقة الذنوب التي تجلبها البطالة والفراغ رأيتها اكثر من ان تحصى. وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً عن المسئلة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » وهذا الحديث بما بني عليه من المعنى أصل في الاجتماع إذ العمل مطلوب فيه والسعي في تربية العيال مرغوب فيه بطبيعة العمران وصون النفس وتعففها من خير ما وهبت النفوس ومديد المساعدة والرفد الى فقراء ابناء

الهيئة محبوب وقال عليه الصلاة والسلام « ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها عن الناس» وقال كذلك في اتخاذ الحرفة « ان الله يحب المؤمن المحترف» وقال ايضاً في الكسب الحلال والبيع المبرور (أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور) (أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع) وقال في فضل التجارة (عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق)

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الحث على العمل (لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) وكان زيد بن سلمة يغرس في أرضه فرآه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له مشجعاً على العمل (أصبت استغن عن الناس بكون أصون لدينك واكرم لك عليهم) كما قال صاحبكم احيحة :

ولن أزال على الزوراء أعمرها إن الكريم على الاخوان ذو المال

والآثار والاقوال في الباب باب فضل العمل والسعي واكتساب المال الحلال يضيق عنها الحصر وتطول في سردها الشروح ومجمل القول انه لا انتظام لامر هذا العالم الا بسعي الافراد في طلب المعاش والجماعات حتى تعمر الدنيا وفاق السنن

الآلهي المطلوب ولقد أوجدت الشريعة النظامات الكافلة في كل المعاملات من حق الملكية والبيع والشراء وحرية التجارة والاخذ والعطاء وأثمت على الاحتكارات وجعلت لكل ذلك قيوداً وحدوداً عامة صالحة لكل زمان ومكان حتى يستبان حرامها من حلالها وصحيحها من فاسدها واكثر الاصول تناسب مقتضيات كل زمان ومكان حتى ينتظم أمر الخلق ويسعدوا فيما هم بصدده من الاعمال والصنائع والمحترفات وكل المهن الاجتماعية والاعمال المعاشية التي الخلق مسخرون لها في صورة مخيرين بطبيعة حال العمران البشري قال الامام الراغب الاصفهاني :

« لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية يؤثر الواحد حرفة من الحرف بشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه بمزاولتها فاذا جعل اليه صناعة أخرى فربما وجد متبلداً او متبرماً بها وقد سخرهم الله تعالى لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الاقوات والمعاشات ولولا ذلك لما اختاروا من الاشياء الا احسنها ومن

البلاد الا اطيبها ومن الصناعات الا الطفها ومن الاعمال الا ارفعها ولتناجزوا على ذلك ولكن الله تعالى بحكمته جعل كلاً مسخراً في صورة مخير فالناس اما راض بصنعته لا يريد عنها حولا كالحائك الذي يرضى بصنعته ويعيب الحجام والحجام الذي يرضى بصنعته ويعيب الحائك وبهذا انتظم امرهم كما قال تعالى «فتقطعوا أمرهم بينهم زمراً كل حزب بما لديهم فرحون» واما كاره لها يكابدها مع كراهيته اياها كأنه لا يجد لها بدلا وعلى هذا دلّ قوله عليه الصلاة والسلام « كل ميسر لما خلق له » بل صرح تعالى بقوله «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » وقال « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وقل كل يعمل على شاكلته » ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « لن يزال الناس ما تنافسوا فاذا تساووا هلكوا » والتفرق والاختلاف في نحو هذا الموضع سبب الالتئام والاجتماع والاتفاق كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتفرقها التي لولاها لما حصل لها نظام فسبحان الله ما أحسن ما صنع وأحكم ما أسر وأتقن ما دبر ولهذا قيل من حق من قُيِّضَ له صناعة مباحة فرزق منها ان يراعيها على ما يجب كما مايجب وعليه قوله عليه الصلاة

والسلام « مَنْ رُزِقَ من شيْ فليلزمه »(١)

فترى من هذا ومن أمثاله الكثيرة في أقوال حكماء الملة الاسلامية ومن استقراء حال التمدين الاسلامي إبان ازدهائه واشراقه أن ما وُجِدَ في كتب القوم مما يخالف هذا بظاهره من الانقطاع عن العمل والتفرغ للعبادة جملة ليس من المبادى الاسلامية البتة وقول بعض الباحثين الغربيين بالحمل على ذلك ان الصلاة الاسلامية لتخلو حتى من طلب المعونة على الرزق استغراقاً في العبادة ليس بالذي يدل على ذلك الذي يطعنون به على الاسلام وجملة القول انه لم يرد بهذا أمر من الله ورسوله بل كره الاسلام الكسل وحرم التبطل ومقت صاحبه وفضل عليه رجل العمل وصاحب الشغل وحكاية ذلك الرجل الذي كان يلزم المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح الصحابة له بالفضل في العبادة حين مات وتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم من كان يعوله عليه شهيرة في كتب السنة ولله ما أبلغ هذه الحكمة المعزوة الى لقمان الحكيم فيما وعظ به ابنه وقد أوردها مؤلفو العرب للنصح والارشاد قال « يا بني استغن

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة للامام الاصبهاني

بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر أحد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به »

على ان قيام هذا العالم الانساني بطبيعة النظام الطبيعي للعمران البشري وما ركب في الانسان نفسه من أجله من غريزة التنازع على البقاء التي تفسرها تلك الخصال من الحرص وخوف الفقر لينتج القيام بالعمل وبعث النفوس على الجد والكد واحتمال كل التكاليف الادبية والاجتماعية لتحصيل الاقوات والارزاق مما يفسره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس من خوف الفقر في الفقر » فالعمل والسعي واجبان انسانياً والاسلام يحث عليهما والارزاق مع ذلك بالمعنى الاسمي بيد الخلاق ومن تعطل او تبطل لاى سبب وبأية حجة فقد انسلخ عن الانسانية وصار في حكم الموتى او الاعضاء الشلاء في جسم الهيئة الاجتماعية وكذلك الامة التي يكون هذا شأنها في مجموعة تلك المجموعة من بني الانسان والاسلام أجل وأعظم من ان يكون في مبادئه ما يجلعنا بهذه الصفة المحقرة والله تعالى يقول مخاطباً لنا « كنتم خير أمة أخرجت للناس » لا بأجسامنا

واحسابنا ولكن بمبادئنا وجودة اعمالنا

***

والاعمال الدنيوية التي بمزاولتها الخلق مشغولون لتحصيل الاقوات والارزاق وتقويم اود الحياة من المطعم والملبس والمسكن ونحو ذلك وما يتفرع عنها من اسباب التمدن والتأنق في الحضارة هي الصنائع والحرف البشرية وامهات الاعمال الانسانية لان الله تعالى للحكمة العظيمة في ايجاد الانسان وعمله لم يخلق شيئاً من امتعة هذه الدنيا وارزاقها واقواتها مهيئاً بحيث يستغني عن صنعة الانسان لتلك الحكمة من ايجاد عمله المبني على العقل واستخدام قوة الفكر وترفع الاذواق والتأنقات وتوزيع الشؤون العملية بخلاف الحيوان الذي يتغذى من النبات بغير معالجة او طبخ مثلا ولا يحتاج في بدنه الى ملبس او مسكن وقصر مشيد بل يقنع بالصحراء والكهوف مسكناً ولباسه شعره وجلده بعكس الانسان ولا سيما الانسان المتمدن او الراقي فانه يحتاج في هذا الصدد الى انواع كثيرة من الصنائع المختلفة المرتبط بعضها ببعض والتي يتكون من جملتها اصول التمدن وبالتالي دعائم العمران المادي والرقي وهي وان اختلفت

في ارتقاآتها بحسب الازمنة والامكنة فان وجود اصولها ليعهد في الهيئة الاجتماعية منذ وجد هذا الانسان وحكمها في النظام الاسلامي وبموجب الشريعة المحمدية انها من الضروريات وبالتالي في حكم الفرض الكفائي لحكمة تبادل المنافع ومنتوجات الاعمال التي الخلق مشتغلون بها قائمون عليها في تحصيل المعاش بالاضطرار في صورة الاختيار كما تقدم في قول الامام الراغب

ولقد كان للسلف الاسلامي عناية بالصنائع التي اشتغلوا بها واعتمدوا عليها في رقيهم بقدر ما وسعه مبلغ تقدمهم وتحروا فيها بنسبة احوالهم الكمال والاتقان الذي ندب اليه الشارع الحكيم عليه السلام «ان الله يحب الصانع الحاذق» ولا معنى لهذا وغيره مما جاء بهذا المعنى سوى حث الهمم لتحري الاستجادة والاتقان في الاعمال والصنائع مراعاة لما تطلبه الاحوال العمرانية الارتقائية في تقدمها بنسبة التقدمات اللاحقة الطارئة على أنواع الصناعات الانسانية عند أهلها واختيار أساليبها الجيدة واشباهها الجديدة على الدوام لنوال المزيد في الربح والرواج فضلاً عن بلوغ الكمال العمراني الذي هو ابعى ما يطالبه من الانسان بمقتضى فطرته ووظيفته على ظهر هذا الكرة .

والصنائع البشرية التي يعتمد عليها أكثر الناس في تحصيل العيش والكسب كثيرة لكثرة فروع الاعمال المتداولة بين البشر بحسب اوساط بلدانهم وأقطارهم المختلفة في أشيائها ومتوجاتها وأحوال ارتقائها وان رجعت الاصول في الصنائع الى عدة فانك ترى لدى كل البشر على السواء وهاته الأصول ترجع الى اربع أوخمس صناعات ولنقصر القول على تلك الاصول الجامعة مما يناسب حال كل عمران فان التكلم على متفرعاتها ومتولداتها التي تارة تكثر وتارة تقل بحسب أذواق كل عصر وكل مصر وحركته الاقتصادية وتقدمه المادى والمعنوى مما لا يمكن حصره ولا ضبطه وان أوجبت النظامات الاجتماعية بين شرعية ووضعية تحوى اشيائها ليسعد البشر فيما بصدده من الاعمال وأسباب السعادة والغبطة الدنيوية

ولقد قسم بعض العلماء قديماً كابن خلدون [1] وغيره الصنائع البشرية والاعمال الانسانية الى ثلاثة أقسام

(١) الصناعة

---

(١) مقدمة بن خلدون

(٢) التجارة

(٣) الامارة

وأدخلوا في كل طائفة منها ما يناسبها من أنواع الصنائع التي من أمهاتها وأولاها « الفلاحة » التي عليها مدار تحصيل الاقوات بالقيام على الزرع والضرع وتربية الحيوان الداجن المنتفع به . وقد جاء في مدح الزراعة آثار كثيرة واوجدت لها الشريعة والانظامات الاسلامية القيود والحدود كحقوق الملكية والارتفاق والمزارعة والاستئجار والسقيا كما وضعت عليها زكاة الزرع والحيوان واخراج الى اشباه ذلك للصرف على المصالح العامة ولقد جاء في مدحها وفضلها في معرض الامتنان آيات من القرآن بينات وقال صلى الله عليه وسلم « التمسوا الرزق في خبايا الارض » على ان مما يجب ان ينتبه له المسلمون إنما هو ترقية أعمالهم الزراعية بحسب الاساليب الحديثة والطرق الجديدة لان ذلك بمقتضى ما هو مشروط من تحرى الحذق والمهارة في الصنائع وتجويد الاعمال في حكم الواجب الذى لا مندوحة منه حتى تفيض أراضيهم المشهورة بجودة التربة في أكثر بقاع الاقطار الاسلامية بالخيرات العظيمة والفيوضات

العميمة ولا يجعلوا الكسل والضعف اكتفاء بالاساليب القديمة العملية القاصرة سلطانا عليهم فيفوتهم استدرار الثروة العظيمة من أكبر مصادرها وأهم ينابيعها بالنظر الى أحوال بلادهم الزراعية

ومن أمهات الصناعة البشرية صناعة « البناء » التي احتاج اليها الانسان منذ أن وجد تقريباً لاقامة المساكن وتشييد الاماكن التي يتخذها لمنافعه من الاواء اليها والانتفاع بها في مصالحه . وفن العمارة تقلبت عليه أحوال كثيرة وتغيرات جمة بحسب ادوار التمدين البشرى ولقد كان لاهل الاسلام فيه اليد الطولى بقدر ما احتمله مبلغ رقيهم والآثار التي خلفها أهل الاسلام في جميع أقطاره وما حوت من نقوش وزخارف تشهد لهم بانهم برعوا قديماً في فن العمارة بقدر ما وسمته احوال عصورهم وانه لجدير بالمسلمين الآن ان يطلبوا ترقى ذلك الفن عندهم لانه من أعظم مظاهر العظمة الدالة على كمال الارتقاء وسبيل ذلك ميسر لهم علمياً وعملياً اذا أرادوا ان ينهضوا ليماشوا الرقى العصرى جنباً الى جنب في اشيائه النافعة وهذا الفن او تلك الصناعة تضم اليها عدة صناعات أخر متممة لها كما هو معلوم

مما ينبغي ان يشملها هي ايضاً الترقي المحبوب بالتبعية لذلك . وصناعة (النجارة) وصناعة (الحدادة) من الامهات ايضاً في الصنائع البشرية وهي تخدم صناعة البناء وصناعة الفلاحة كما تخدم البشر في حاجاتهم الكثيرة الاخر من مثل الادوات والعدد المنتفع بها في كثير من الشؤون الحيوية والصناعية ، وقيامها بمعالجة الخشب والحديد والنحاس ونحو ذلك وتهيئة تلك المواد بحيث ينتفع بها في تلكم الشؤون المختلفة سواء كانت عُدَداً للعمل او أدوات للمنافع الحيوية . هذا وغير خاف ان تقدم هاتين الصناعتين في أوروبا قد بلغ أشده بخلاف الشرق لاكتفائه بما اعتاده من قديم بحيث صار الفرق بيننا معاشر أهل الاسلام وبين أهل الغرب في مضمار تينك الصناعتين كالفرق بين الطفل الصغير والرجل الكامل الشديد البطش والقوة فضلاً عن مهارة اليد والعقل وهذا لا يجيزه شرع ولا عقل والمصلحة الذاتية للمسلمين قاضية بالترقي في مثل هذه الشؤون الحيوية للتساوي بأهل القوة طلباً للنجاح والفلاح في مضمار الحياة الانسانية بين الشعوب العصرية فمن ثم يجب على المسلمين ان ينشدوا الكمال في الصناعة وينشطوا لتحري روحها

بواسطة الاكثار من انشاء المدارس الصناعية على الطراز الجديد والمصانع والا أعوا ولحقهم وزر العاملين وحرمان المقصرين المهملين .

ومن أمهات الصنائع البشرية كما لايخفى صناعة « الغزل والحياكة » ثم « الخياطة » وكلها لولاها ما لبس انسان ولا تأنق متأنق في ثيابه أو فرشه المنجدة من الاصواف والاوبار أو القطن والحرير والتيل ويلحق بها صناعة الصباغة والدباغة بالالوان والنقوش وهذه وتلك كلها منحطة الآن عند المسلمين بعد ان كان لهم فيها القدح المعلى والشأن كل الشأن فيخلق بهم بالنظر الى تلك الاحوال التي سبقهم فيها الغرب أيما سبق ان يشمروا عن ساعد الجد ويطرحوا أسباب الكسل والتواني ليحيوا أمثال تلك الصناعات عندهم على مقتضى ما جرى عليه الغربيون من الطرق والاساليب الجديدة والعدد المسهلة وانه ليعار عليهم أن يستغنوا بالمنسوجات الاوروبية عن احياء صناعة الحياكة ومستلزماتها في بلدانهم وهي التي تخرج الى أوربا مادتها الاصلية من القطن والصوف والحرير وان نقصتها مادتها الثانية من الفحم والعدد والالات العاملة فيها بحسب الطرق الجديدة

ولقد يدخل في هذا النقص نقص الصناعة في البلدان الشرقية « صناعة الوراقة » اي الكاغد المنتفع به في الكتابة والطباعة ونحوها فان البلدان الاسلامية قد فقدت منها هذه الصناعة بالمرة مع انه ليس من غنى عنها البتة لانه اذا احتيج الى الكتابة والخط احتيج بالبداهة الى الورق ، وصناعة الطباعة الحديثة كما كفت العالم مؤونة الخطاطين والنساخ فقد زادت الحاجة بنسبة رواجها عندنا الى صناعة الكاغد ناهيك بمنافعه الاخرى في الشؤون التي يتعلق بها في التجارة

وحرفة « التجارة » من مهمات الصنائع البشرية والتجارة معاولة تنمية الاموال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء في مثل غلة زرع او حيوان أو قماش او ما أشبه ذلك من عروض التجارة وذلك القدر النامي هو « الربح » المحاول اخذه وللتجارة بالنظر الى اعمالها المختلفة واحوالها الدقيقة القيود والحدود الضابطة في الشريعة في باب البيوع والشركة والمضاربة الشرعية وما أشبه ذلك وفي معاطاة التجارة مزالق قد يوجدها الغرور والطمع ولذلك نبه الشارع الى الصدق في المعاملة وآدابها الجليلة من تجنب الغش والخديعة وتطفيف الكيل والاجحاف واكل

اموال الناس بالباطل ثم المكايسة في المعاملة ، واليقظة المطلوبة للربح غير مانعة على وجه ما من الصدق والامانة وملازمة الحق في الاخذ والعطاء على الوجه الشرعي المطلوب في كل الشؤون بموجب ادبنا الاسلامي

ومن الصنائع المهمة في العمران حرفة «النقل» للآدميين وأنواع الحاصلات والمستغلات والتجارات في البر والبحر وهذه الحرفة من الاهمية بالمكان العظيم بحيث أنها لو نقصت في بلد عن مقدار حاجته لتعطلت كل أحواله وحركاته التجارية وأيما بلد سهلت فيه وسائل النقل راجت أعماله ونمت أشغاله وتقدم وأرتقى بنسبة ما فيه من حركة ، ونظرة في التاريخ الاسلامي تكفي لان يعلم المسلم العصرى منها ما قام في تلك الايام الماضية من مبلغ قوة حركة القوافل العربية والسفن الشراعية والاسواق العظيمة لتصريف أنواع التجارات والمحصولات في سائر الاقطار من أقصى الشرق الى السواحل الاوروبية مما استلم القيادة فيه الآن الاوروبيون بعد انحطاط الدول الاسلامية ولقد زادت حركتهم التجارية بما اخترعوا من سكك الحديد وسفن البخار والتلغراف والتلفون والتلغراف اللاسلكي الامر الذى

يجدر بالاقطار الاسلامية على اختلاف بقاعها ان تتشبث وتستفيد منه وتعتمد على مثله في جميع حركاتها العمرانية واعمالها الاقتصادية ولا عذر للمسلمين لا شرعي ولا عرفي يمنعهم عنه ويحول بينهم وبينه الا اذا كان ما التزموا من كسل وركنوا اليه من خمول كاد يذهب بريحهم .

ومن الحرف اللازمة « الخدم المتبادلة » في المنافع والاشغال المتباينة وكل الشؤون الحيوية المتنوعة وهي ذاهبة كل مذهب وبواسطتها أيضاً قام العمران ولقد اوجدت لها الشريعة بحسب الاحوال والمقتضيات الحدود والقيود في الاجور والكراآت كما دونت بصددها القيود في القوانين المدنية الحديثة .

ومنها صناعة « التعليم » وهي من أشرف الصناعات في الهيئة بحسب الادب الاسلامي وفضلها ومزيتها في الهيئة اجل من ان يذكر ولها بالنظر الى المعلم والمتعلم آداب جليلة مشهورة

ومن أمهات الصنائع والحرف اللازمة في الهيئة « صناعة الطب » اي ذلك الفن الذي يشارك صاحبه اهل العلم في فضلهم واهل الصناعة في نفعهم وانتفاعهم ، وصناعة الطب ضرورية في الهيئة وتدخل في فروض الكفايات في الاسلام حتى يوجد في

الهيئة من يداوى اسقام بنيها ويسوس امورها الصحية وسلامة أبدانها المطلوبة شرعاً وعرفاً بمقتضى قوانينها الصحيحة ويلحق بصناعة الطب فن « الصيدلة » لتركيب العقاقير والادوية اللازمة للطبيب .

ومنها صناعة « الغناء وفن الموسيقى » وهذه قد وجد لها أصل إباحة ورخصة فى الدين وقد برع فيها جماعة من أهل الاسلام قديماً أيما براعة وهي ضرورية لتنشيط النفوس وتطريب القلوب وانعاشها في الاوقات المعينة وانه ليدخل فيها بل هو من اجل مهذبات النفوس مع ذلك فن التمثيل ذلك الفن الذى عرف الغربيون فضله فوفوه حقه اتقاناً وتحسيناً .

هذه هي أمهات الصنائع الانسانية بحسب ما اعتمد عليه في التمدين الاسلامي وحث عليه في ادبه الاجتماعي ونظامه العملي وما ينطوي تحتها من فروع الاعمال والمهن شيء كثير جداً كان يكثر ويقل بحسب الظروف وانواع التأنقات في الحضارة كما نراه الآن في الغرب ، ولقد استنبطت في الشريعة الاسلامية كل القيود والحدود والآداب اللازمة لتمشية النظام في كل الاعمال والصنائع وكسب المال واراحة الافراد فيما سخروا

فيه منها وما تعاملوا به من أجلها بمقتضى قواعد عامة وأصول يجد فيها الخلف كما قد وجد فيها السلف ما يرقى حالهم وينظم شؤونهم بحسب المقتضيات متى ما راعوا حسن الاختيار وسلامة الاذواق المصرية ولكل عصر شأنه بلا حرج وكل هذا يدلنا معاشر أهل الاسلام على فضل ما عرف من أدب العمل عندنا وحث عليه من السعي والكدح في التماس العيش وتحصيل الرزق بأي من انواع الصناعات الشريفة المعهودة في المجتمع بحسب ميل الشخص واستعداده منذ الصغر وليس في الاسلام من حرج أو قيد وحائل يحول دون الترقي في الصناعات على اختلاف أنواعها وتطلب المزيد من المهارة والحذق في الاعمال وتجويدها المطلوب شرعاً كما انه ليس هناك ما يمنع اكتساب المال بالسعي والتوفير في الدرهم والدينار المكسوب من حلال إذ ذلك كله مطلوب مرغوب فيه شرعاً طلبا لقوة الافراد والجماعات ما دامت مراعي فيها الحقوق والواجبات التي عليها ، كما قد أوجدت الشريعة في الارث فيها أجود النظامات الاجتماعية كما يرى في كتب الفقه والمواريث أو الفرائض .

فلكسب العيش وتحصيل الارزاق بل لنوال الغنى والسعادة والغبطة في هذا العالم لا بد للمرء بحسب أدب الاسلام من عمل يعمل فيه وحرفة يحترفها وصناعة يمارسها بحسب اختياره للحرية العظيمة التي في المبادئ الاسلامية وإذ قد جعل الله في الدرهم والدينار سر ما به قوام كل الاشياء وتقدير قيمها وتبادل منافعها فكأنه بحسب العرف القديم والحديث صار هذان النقدان الكريمان نوعا من الثروة والمال العامل الدائر في كل الشؤون الجالب لخير الاشياء الموفى كلا حقه بقدر عمله ومبلغ ما اعطى من النفع لغيره من صناعة أو سلعة وأخذ منه في مقابلها

وحيث صار من خصائص النقدين الكريمين هذه الفضيلة وتلك المزية من بين الاموال البشرية فلا جرم وجب على كل امرئ عاقل ان يدخر ويوفر لنفسه منهما ليزداد قوة في عمله وحيطة للاحوال الطارئة في كل شأنه وايامه المستقبلة وعدم صرفهما إلا في حقهما وبالمقدار اللازم ولقد ذم الكتاب العزيز الاسراف والمسرفين في الاموال قال تعالى « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أي في الحد الوسط المعتدل وقال تعالى مخاطبا الامة في خطاب النبي صلى الله عليه

وسلم « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً » فجمع بين النهي عن البخل والشح المذمومين المؤديين الى الضن بالحقوق كما نهى عن بسط اليد الذي ينتهي الى السرف المضيع للمال الموجب للوم النفس والذم والحرمة . وفي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لئن تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس » ولا وسيلة الى ذلك بغير اقتناء الثروة وادخار المال

ولم يكتف النظام الاسلامي والادب المحمدي بالحث على هذه الفضيلة فضيلة التدبير والاقتصاد بل أوجبت الشريعة الحجر على السفهاء حتى تحفظ عليهم أموالهم التي اتيحت لهم « ولا تعطوا السفهاء أموالكم اللاتي جعل الله لكم » وجعلت حكم السفيه عن عته أو اسراف كحكم الصبي الذي لا يحسن التصرف وتجب الوصاية والقيامة عليه ولله ما أجلها من حكمة عالية في التشريع كتلك الحكمة العالية فى المواريث وجودة مبدائها فى توزيع المال

وخلاصة القول ان العمل واكتساب المال على انواعه من وجوهه المشروعة مع اداء الحقوق المفروضة على المرء فيه

والاعتدال فى النفقة والصرف وادخار الاموال للايام وكبار الاعمال هو القطب الذي تدور اليه رحى هذه الدنيا فى عمارها والمبدأ الذي رمى اليه الاسلام فى أدبه المالي وتعاليمه السامية فتأدب أيها المسلم المصري بهذه الآداب وليكن لك حزم وعزم فى العمل والكدح واكتساب المال الحلال وحسن تدبيره وتوفيره والقيام عليه لانه قوة لك والبطالة والفقر والسرف ضعف بل موت يتناول الشعوب كما يتناول الافراد فليفقه القوم وليأخذوا بقول الشاعر الحكيم الذي يقول :

للمال عندي جانب لا أضيعه ... وللهو مني والبطالة جانب